

حوار حول البرجماتية

للدكتور حامد طاهر

[أسعدنى كثيرا أن أشهد هذا الحوار

المهام الذى دار بين اثنين من شباب

الجامعات المصرية . أحدهما من كلية

عملية ، والثانى من كلية نظرية .

ومما زاد من سعادتى أنهما ممن

يحرصون على تثقيف أنفسهم بأنفسهم ..]

قال الأول :

— فلان هذا شخص برجماتي

فسأله الثاني :

— وماذا تقصد بذلك ؟

— أقصد أنه يعتنق مبدأ :

" الغاية تبرر الوسيلة "

— لكن صاحب هذا المبدأ

هو ميكيافيللي (المتوفى سنة 1527)

— أعلم ، لكن قوله هذا

أصبح من مبادئ البرجماتية

— معذرة ، هذا غير صحيح

فالبرجماتية فلسفة معاصرة

أسسها كل من :

وليم جيمس (ت/1910) وجون ديوى (ت/1952)

وأصبحت هي الفلسفة السائدة في أمريكا

— وماذا تعنى هذه الفلسفة ؟

— تعنى أن معيار الصواب والمخطأ

فى كل الأمور ، والأشياء

هى النتيجة العملية

وليس الحجج العقلية .

— أليس فى هذا بعض الغموض ؟!

— كلا على الإطلاق

لأن الغموض إنما يوجد

في البرهنة على صحة الأفكار

أما في البرجماتية

فيكفى أن تأتي بفكرة

فيقال لك :

تفضل بتطبيقها في الواقع

فإن نجاح التطبيق أعلنت صحتها

وإن فشل التطبيق أصبحت خاطئة ،

وقيل لك عندئذ :

ابحث عن فكرة أخرى ..

— والله ، هذا شيء جيد

— رأييت ..

لقد تجاوزت البرجماتية بهذا المنهج

كل الفلسفات التقليدية المثقلة بالتفسيرات

ولم تعد تقبل إلا ما هو قابل للتطبيق

في الواقع العملي ،

وبذلك اختفى منها (الكلام) الكثير

و(وجهات النظر) المتضاربة !

— وكيف انتشرت هذه الفلسفة في أمريكا ؟

— أنت تعلم أن الأمريكيين الحاليين

معظمهم من مهاجري أوروبا

وعندما وجدوا أنفسهم في قارة بكر

كان عليهم أن يحولوها

إلى أغنى وأقوى دولة فى العالم

وقد أدركوا منذ البداية

أن كثرة الكلام لا تفيد ..

لذلك اتجهوا مباشرة إلى الواقع

وقاموا بالتجربة فيه

ومن الثابت أنهم فشلوا مرات عديدة

لكنهم حين كانوا ينجحون

كانوا يحافظون بكل دقة

على الخطوات التى أوصلتهم للنجاح

وصاروا يطبقونها فى كل تجربة جديدة .

— إنك تفاجئنى بهذا الحديث

فقد كانت فكرتى عن البرجماتية

غائمة جدا..

— نا عليك ،

المهم أن تتابع ما ذكرته لك

فى سلوك الأمريكين ،

سواء فى بلادهم ، أو مع البلاد الأخرى

— لكننى ألاحظ أنهم يشنون حروبا مدمرة ،

وكثيرا ما يفشلون فيها !

— وهذا من صميم فلسفتهم التى يعتنقونها

فهم يسعون لتحقيق أهدافهم ،

من خلال عملياتهم العنيفة ،

وليس بالوسائل السياسية المعتدلة

ومع ذلك فإنهم يدرسون جيدا تجاربهم الفاشلة

ويحاولون ألا يقعوا فيها مرة أخرى .

— هناك أمر أخير أريد أن أعرضه منك :

ما هو موقع الدين من الفلسفة البرجماتية ؟

— كل الأديان مسموح بها ، ولما اعترض عليها ،

ما دام الدين يمد الإنسان بالأمل في حياة أخرى

ويجعله ملتزما بالأخلاق المستقيمة

في المجتمع الذي يعمل ، ويعيش فيه .

*** **

